قوانين المقابلات الصوتية فى اللغات السامية

للأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى

أولاً - تقديم :

القوانين الصوتية من أهم ما توصل إليه علم اللغة المقارن ؛ وفى هذا السياق تعد هذه القوانين أدق محاولة علمية لتفسير التغير فى الوحدات الصوتية فى اللغات المنتمية إلى فصيلة لغوية واحدة . وقد بحثت هذه القوانين أول الأمر فى اللغات الهندية الأوربية، ثم فى اللغات السامية [١]. ومع تقدم البحث فى لغات كثيرة أخرى بدأ التفكير - فى إطار علم اللغة العام - فى تعرف القوانين العامة المفسرة للتغير فى بنية اللغة عند الإنسان بصفة عامة ، وهذا الموضوع جزء من البحث فى " كليات اللغة " أو " عموميات اللغة " [٢] ، وهو مجال جديد نسبياً يدرس السمات المشتركة فى اللغة الإنسانية ، بنيتها وتغيرها . وهذا البحث دراسة للتغيرات التى حدثت للوحدات الصوتية الجزئية فى العربية ولهجاتها فى ضوء اللغات السامية وعموميات اللغة .

إن التغير الصوتى يحدث على نحو دائم فى إطار تعدد أشكال الأداء اللغوى ، ولكن النظم الصوتية أكثر ثباتاً . قد يكون تغير صفات أداء الصوت غير مؤثر فى التمييز بين الوحدات الصوتية فى تلك اللغة ، فيظل النظام الصوتى قائما دون تعديل [٣] .وليس لدينا من اللغات التى وصلت إلينا مدونة ما يدل على أشكال الأداء النطقى، ولكن الباحثين توصلوا إلى وحدات النظام الصوتى لكل لغة من هذه اللغات .

---

(١) انظر : Th . Bynon, Historical Linguistics, Cambridge University Press, 1993, P.23-56

(٢) انظر كتاب جرينبرج : J . H . Greenberg, Language Universals, The Hague 1966

(٣) الوحدة الصوتية = الفونيم Phonem ، الوحدات الصوتية الجزئية Segmental Phonems وهى الوحدات الصوتية للأصوات المفردة ، أما العلاقات التركيبية الصوتية لها مثل النبر والتنغيم والمقاطع فتسمى Suprasegmental Phonems أى الوحدات الصوتية فوق الجزئية

وعرف علماء الدراسات السامية قوانين النظائر الصوتية بين اللغات السامية ، وعلى سبيل المثال فإن نولدكه (٤) لم يكن يذكر المقابل أو النظير إلا بعد مراعاة هذه القوانين بدقة . أما بروكلمان فقد صدر فى كتبه الثلاثة فى النحو المقارن للغات السامية عن هذه المعرفة (٥) ، ولكنه تجاوز التفصيل فى هذا الجانب وانصرف إلى جوانب أخرى وعندما كتب برجشتراسر - بالألمانية - المدخل فى اللغات السامية (٦) عرض لهذا الموضوع ، وتناوله - أيضا - فى محاضراته التى ألقاها بالعربية بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ م(٧). وفيها أول عرض شامل باللغة العربية لقضية «القوانين الصوتية» وذلك على الرغم مما شاب أسلوبه - أحيانا - من غموض فى العبارة .

---

(٤) انظر بحوث نولدكه فى علم اللغات السامية المقارن :

Th. Nöldeke, Beiträge Zur semitischen Sprachwissen Schaft Neue Beiträge Zur semitischen Sprachwissenchaft Strabburg . 1904 Strabburg 1910 .

(٥) عمدة الدراسات فى النحو المقارن للغات السامية ، وعنوانه :

C . Brockelmann, Grundriss der Vegleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908 - 1913 .

ويقع القسم الصوتى فى النصف الأول من المجلد الأول من هذا الكتاب الكبير ذى المجلدين ، غير أن القوانين المقارنة للأصوات المفردة لا تشغل إلا صفحتين وعدة أسطر (44 - 1/42) أما فى كتابه الموجز فى النحو المقارن للغات السامية اقتصر الأمر على جدول ، انظر :

C . Brockelmann, Kurzgefasste Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908, S.13.

وقد ناقش المؤلف نفسه هذا الموضوع فى كتابه الثالث ، وعلى الرغم من أنه الأكثر إيجازا فإنه يضم قدراً من التفاصيل فى هذا الموضوع تقع فى نحو أربع صفحات ،
انظر :

C . Brockelmann, Semitische Sprachwissen schaft, Leipzig 1906, s. 50 - 64 .

(٦) انظر :

C . Bergsträsser, Einführung in die semitischen Sprachen, München 1928, s . 4 - 6

(٧) طبعت بعنوان: التطور النحوى للغة العربية ، سلسلة محاضرات ألقاها فى الجامعة المصرية الأستاذ الكبير Bergstraesse أستاذ اللغات السامية بجامعة ميونخ ، القاهرة ١٩٢٩ ؛ وطبعة مصورة بالمركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

أما الكتب الحديثة التى تناولت الأصوات العربية ، فقد اقتصرت - بصفة عامة - على الدراسة الوصفية لهذه الأصوات فى نطقها الحديث مع الاعتماد - أيضا - على وصف سيبويه لها والإشارة إلى نطقها عند القراء ، ولكنها - بصفة عامة - لم تتضمن بحثا للأصول السامية [٨] ومن الجانب الآخر ، اهتم المتخصصون فى الدراسات السامية بالجامعات العربية بقضايا البحث فى بنية الكلمة وفى المعجم ، ولما يشغلوا بقضايا علم الأصوات المقارن فى اللغات السامية [٩] . ولعل الاستثناء الوحيد للإفادة من اللغات السامية يتمثل فى ما كتبه اللغوى الفرنسى جان كانتينو (١٩٥١) فقد صدر فى كتابه فى الأصوات العربية عن معرفة عميقة باللغات السامية [١٠] .

وقد أفاد هذا البحث من هذه الدراسات كلها ، وأعاد النظر فى الموضوع فى ضوء البحوث الكثيرة فى اللغات السامية المفردة ، وفى مقدمتها كتب فون زودن فى نحو الأكادية [١١] وجوردون فى نحو الأجريتية [١٢] ،

---

(٨) انظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، القاهرة ١٩٦١ ؛ محمود السعران ، علم اللغة ، القاهرة ١٩٦٢ ؛ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٩) انظر : السيد يعقوب بكر ، دراسات مقارنة فى المعجم العربى ، بيروت ١٩٧٠ .

(١٠) عن حياته ومؤلفاته كتب وليام مارسى مقدمة لكتاب يضم دراسات فى علم اللغة العربية من تأليف كانتينو :

J . Cantineau, Etudes de Linguistique Arabe, Paris 1960 .

(١١) عنوانه كتابه :

W . Von Soden, Grundriss der Akkadischen Grammatik, Analecta Orientalia 33 / 47 , Rome 1969

(١٢) عنوان التحرير الأخير من عمل جوردون : C . H . Gordon, Ugaritic Textbook, Roma 1965

وفردريخ وروليج وفى نحو الفينيقية [١٣] ومـاير فى نحـو العـبرية [١٤] وبيستون فى نحو عربيـة النقوش الجنوبية [١٥] . وأفاد البـحث - أيضاً - مـن الدراسات المفـردة الكثيرة فى اللهجات العربية الحديثة [١٦] . وهذا كله يجـعل المـادة اللغـوية المتـاحـة للمقارنة أكبر بكثير مما كـان متاحا للباحثين الذين تنـاولوا الموضـوع فى أوائل الـقـرن العشرين .

لا تقـتصـر أهمـية هذا الموضـوع من الدراسـة على كـشـف هذا الجـانب المهم لتـأصـيل الأصـوات الـعـربيـة فى ضـوء الأصـوات فى اللغـات الساميـة ، وهو مـوضـوع يوضح لنا أن أكـثـر الوحـدات الصوتية المكونة للنظام اللغوى للعربية أقدم بنحو عـشرين قـرنا من الشعـر الجاهلى ، فأكثرها استمرار مـباشر للوحدات الصوتية فى اللغة السامية الأم ، قبل بداية الهجرات من مهـد الساميـين نحو سـنة ٢٥٠٠ قبل الميـلاد . ولكن أهميـة تأصيل الأصـوات العربية ومعرفـة نظائرها فى اللغات السامية ترجع - أيضا - إلى أن هـذه القوانين أداة الإفادة من هذه اللغات فى تأصيل مفردات المعجم العربى [١٧] . والمعرفة بها ضرورية - أيضاً - لحسن قراءة التأصيل السامى فى " المعجـم الكبيـر " الذى يصدره مـجمع

(١٣) عنوان كتاب ماير : . R . Meyer, Hebräische Grammatik, Berlin 1966

(١٤) عنوان كتـاب فردريخ وروليج : Friedrich and Röllig, Phonizisch Punische Grammatik, Roma 1970 .

(١٥) عنوان كتاب بيستون : A . F . L Beeston, A Descriptive Grammer of Epigraphic South Arabian, London, 1962 .

(١٦) عن هذه الدراسات ، انظر : H. Sobleman, Arabic dialect studies, Washington D . C 1962 .

M . H Bakalla, Bibliography of Arabic Linguistics, London Mansell, 1975 .

(١٧) فى مقـدمة معجم الأصول الـسامية الذى ظهـرت منه حتى اليوم فصلتـان ، جدول فى صفحـة واحدة بالنظائر الصوتية فى اللغات السامية ، انظر :

D . Cohen, dictionaire des Racines sémitiques, Paris 1970 - , Fascicule, 1 . 2 -

اللغة العربية بالقاهرة وفيه يظهر التأصيل فى أول كل مادة لغوية موضحا الكلمات المشتقة من المادة نفسها فى اللغات السامية المختلفة ، الأمر الذى يثبت - بمراعاة قوانين النظائر الصوتية - أصالة هذه المادة بكونها موروثة من اللغة السامية الأولى فى حالة تكررها فى اللغات المختلفة مع المطابقة للقوانين الصوتية المطردة لهذه النظائر ، أو عدم أصالتها فى العربية بمخالفتها لتلك القوانين المطردة لأسباب يحاول البحث اللغوى إيضاحها . هذا البحث محاولة لإيضاح موضوع المقابلات الصوتية فى اللغات السامية ، ونظراً إلى طبيعة المادة التى وصلت إلينا من هذه اللغات ، ولإمكانات البحث فيها فإن مصطلح "الصوت" يستخدم هنا بمعنى الوحدة الصوتية الجزئية . أما مصطلح "حرف" فيدل على الصورة المدونة المرئية التى وصلت إلينا .

ثانيا : - المجموعة الحنجرية :

احتفظت اللغة العربية بالمجموعة الحنجرية[18] التى افترض الباحثون وجودها فى اللغة السامية الأم. تضم هذه المجموعة صوتين ، هما : الهمزة والهاء[19] . أثبتت مقارنة العربية واللغات السامية الأخرى أن الصوتين قديمان قدم اللغة السامية الأم ، لم تستحدث العربية منهما صوتا ولم تفقد صوتا . أما ما يظهر

(١٨) عدلنا هنا عن المأثور فى التراث اللغوى العربى عندما وصفت هذه الأصوات بأنها "حلقية" ، ويدل مصطلح "الحلق" عند الخليل بن أحمد (انظر : كتاب العين تحقيق عبد الله درويش ، بغداد (١٩٦٧ ، ٦٥٩) على عدة مناطق ، يصنفها القدماء إلى أقصى الحلق وأوسط الحلق وأدنى الحلق (انظر : سيبويه ، الكتاب ٢/ ٤٠٥) يصنفها المحدثون إلى عدة مناطق أيضا وهى : الحنجرة Larynx والتجويف الحلقى Pharynx واللهاة Uvula وأقصى الحنك الأعلى Velum (= الحنك اللين soft Palate) ، انظر : محمود السعران ، علم اللغة ١٤٣- ١٤٤ . Haffner, General phonetics ,

(١٩) مخرج الهمزة الحنجرة ، والمقصود همزة القطع ، وهى وقف حنجرى Glottal stop ، ويتم نطقها بأن ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما ، فتسدد الفتحة الموجودة بينهما ولا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا (محمود السعران ،علم اللغة ١٧١) ، أما نطق الهاء فيتكون بأن يمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين محدثا صوتا احتكاكيا (المرجع السابق ١٩٦) .

من فروق بين العربية وبعض اللغات السامية الأخرى ، فيرجع إلى تغير حدث فى أصوات مفردة بأعيانها فى بعض اللغات السامية ، بينما حافظت العربية على الموروث .

كادت التغيرات فى المجموعة الحنجرية تقتصر على الأكادية ، لا تميز الأكادية بين الهمزة والهاء وأصبحا وحدة صوتية واحدة [٢٠] ، لم يكتب الأكاديون الهمزة الواقعة فى أول الكلام ، إلا إذا كانت لها وظيفة مثل همزة الفعل الحاضر الدالة على المتكلم المفرد . وعرف الخط الأكادى إظهار تضعيف الهمزة على نحو واضح متميز يجعل الهمزة الأولى فى مقطع والثانية فى المقطع التالى . أما الهمزة فى آخر الكلمة فلا تدون . وحلت الهمزة محل الهاء ، وظهرت فى أمثلة كثيرة داخل الكلمة ، وثمة أمثلة أخرى طرأ على الهمزة فيها تخفيف فلم تعد محققة وحلت محلها حركة طويلة ، يتضح هذا من كلمة نهر بتحويل الهاء إلى همزة ، ثم أخذت الهمزة تخفف وتختفى ونتج عن حذفها مد الحركة القصيرة السابقة ، فظهرت صيغة (nâ ru) .

أما أكثر لغات المجموعة الكنعانية الأرامية والفرع الجنوبى من اللغات السامية فقد احتفظ بصوتى الهمزة والهاء . وأهم تغير طرأ على مكان هذين الصوتين فى النظم اللغوية لهذه اللغات يتصل بتخفيف الهمزة فى وسط الكلام وآخره من جانب ، وضعف النطق فى العبرية بصوت الهاء من الجانب الآخر . كأن الهمزة والهاء فى العبرية صوتين متميزين ، ثم

---

(٢٠) انظر :

Von Soden, Grundriss, S. 24 - 26

Brockelmann, Grundriss 1/128

Ungnad - Matous, Grammatik des Akkadischen, s. 14 , 21 , 22 .

فقد الصوتان قيمتهما بعد ذلك . وعندما أخذ علماء العبرية القديمة يضعون - بعد ذلك بقرون - الضوابط النطقية لقراءة العهد القديم ابتكروا رموزًا إضافية لبيان النطق الصحيح [٢١] لكل صوت توخيا لعدم الخلط بينهما ، أما النقوش الفينيقية التي وجدت في منطقة ساحل الشام فكانت تميز الهمزة والهاء . كما يتضح - أيضا - من نظام الكتابة الأبجدية الفينيقية . وكان بعض الباحثين المحدثين قد شك في تمييز الفينيقية لأصوات الحنجرة والتجويف الحلقي ، واستدل على ذلك ببعض الكلمات الفينيقية التي دونها اليونان بالحروف اليونانية دون أن يرمزوا لأصوات الحلق برموز متميزة دالة عليها ، وهذا الرأي فيه نظر ، فاليونان لم يهدفوا إلى تدوين الفينيقية على نحو صوتي دقيق . ولم يكن في حروف الأبجدية اليونانية ما يفيد في تدوين الأصوات الفينيقية غير الموجودة في اليونانية [٢٢] .

---

(٢١) انظر ما كتبه ماير عن نطق العبرية القديمة :

R . Meyer, Hebräische Grammatik, I, 63-64, 92.

وقد لاحظ ماير أن الضبط النهائي للنص العبري للعهد القديم بالحركات كان محاكاة لضبط النص العربي للقرآن الكريم فالمصاحف كانت قد دونت في وقت لم يكن علماء اليهود قد انتهوا فيه من ضبط ماعندهم من أسفار . وقد قاموا بهذا العمل على مدى زمن طويل ، ولكنه تم - على أية حال - في وقت كانت فيه اللغة العبرية قد انتهت من الاستخدام الفعلي منذ قرون ، حاول العلماء ضبطها في ضوء معرفتهم بها ، فاختلف أحبار الشام (طبرية) عن الربانيين في العراق (بابل) في طرق الضبط الهادف - أيضا - تأكيد أن الحاء والعين والهاء بوصفها صوامت وليست حركات .

(٢٢) انظر في هذا رأي الباحث الألماني شرودر Schröder المذكور عند بروكلمان Brockelmann, Grundriss, I , 125

وكذلك ما كتبه سبرير عن الكلمات العبرية المدونة بحروف لاتينية ويونانية :

A . Sperber, Hebrew based upon Greek and Latin transliterations. Hebrew Union College Annual 12/13 (1938) P . 103 - 104 .

ثالثاً – مجموعة التجويف الحلقى :

تضم مجموعة التجويف الحلقى التى افترض الباحثون وجودها فى اللغة السامية الأم صوتين ، هما : الحاء والعين ، ويختلفان من حيث الهمس والجهر ، فالحاء مهموس والعين مجهور (٢٣) . وقد احتفظت اللغة العربية بكلا الصوتين دون تعديل .

تقتصر التغيرات فى مجموعة التجويف الحلقى على الأكادية والأمهرية . لم تعرف الأكادية صوتا متميزاً للهاء أو للعين ، فقد ضاع كلا الصوتين ، وحلت محلهما الهمزة . ويميز الباحثون المحدثون فى تدوين الأكادية لأغراض البحث العلمى على أساس اشتقاقى بين الهمزة التى كانت فى اللغة السامية الأولى حاء والهمزة التى يقابلها فى اللغة السامية الأولى صورت العين ، فيرمز إلى الحاء القديمة برمز الهمزة مع رقم (3) وإلى العين القديمة برمز الهمزة مع رقم (4) .

تميز النقوش الفينيقية التى وجدت فى منطقة ساحل الشام تمييزاً واضحا بين الحاء والعين، ولكل صوت منهما رمز متميز(٢٤).

---

(٢٣) مخرج الحاء العربية فى الفراغ الحلقى أعلى الحنجرة ، يضيق المجرى الهوائى فى هذا الموضع بحيث يحدث مروره احتكاكا (محمود السعران ، علم اللغة ١٩٤) ، أما صوت العين فهو النظير المجهور للحاء ، يتكون على نحو ما يتكون صوت الحاء ، إلا أنه عند النطق بالعين تصحبه نغمة موسيقية نتيجة لاهتزاز الوترين الصوتيين (المرجع السابق ١٩٥) .

(٢٤) انظر فى بنية الفينيقية والبونية :

Friedrich, Phönzisch Punische Grammatik, S . 8 - 41 .

أما فى اللغة البونية فقد أخذ نطق الحاء والعين يضعف شيئاً فشيئاً ، كما يتضح من الأخطاء الإملائية فى تلك النقوش . وبعد ذلك اختفى نطق أصوات التجويف الحلقى . فى بداية هذا التغير نطقت الحاء نطق الهاء وكتبت بها ، ثم نطقت هذه الهاء (والهاء القديمة أيضاً) نطق الهمزة ، ثم اختفت هذه الهمزة . وعندما حاول البونيون المحدثون - بعد أن هزمهم الرومان - تقليد المنتصرين بتدوين الحركات بحروف مستقلة ، أفادوا من الحروف التى لم يعد لها نطق واضح فاستخدموها للدلالة على الحركات . وهكذا أصبح على سبيل المثال الحرف الذى كان يدل على صوت العين يستخدم لتدوين الفتحة ، وهكذا باقى الحروف .

تتفق الآرامية بلهجاتها القديمة فى الاحتفاظ بصوتى الحاء والعين . يستثنى من هذا ما حدث فى لهجة المندعيين (المندائيين = المندئيين) الآرامية ، فقد فقدت صوت العين وتحولت كل عين إلى همزة [٢٥] . وهذا التغير نفسه حدث فى عدد من اللغات السامية الجنوبية الحديثة ، وفى مقدمتها : المهرية فى إحدى محافظات اليمن ، والأمهرية فى الحبشة . ويعد وجود العين أو عدم وجودها من السمات الفارقة بين لغة وأخرى فى اللغات السامية الجنوبية الحديثة .

يتضح من هذا كله أن صوتى الحاء والعين، وإن كانا قد فقدا من عدد من اللغات السامية فى مراحل متأخرة من تاريخها، فإنهما موجودان فى أقدم مراحل أكثر اللغات السامية الأولى. وقد ورثت العبرية كلا الصوتين وحافظت عليهما .

---

(٢٥) انظر ما كتبه نولدكه فى النحو المندعى :

Nöldeke, Mandäische Grammatik, Halle (1975) , S . 57 - 66

رابعاً – مجموعة الأصوات الرخوة من أدنى الحلق واللهاة :

تضم هذه المجموعة صوتى الغين والخاء ، وكلاهما صوت رخو يبدو أن مخرجه الأقدم كان فى منطقة أدنى الحلق واللهاة ، وهى منطقة تسمح بعدة صور صوتية لكل وحدة منهما (٢٦) . ونقتصر هنا على بيان الوحدتين الصوتيين فى النظم اللغوية للعربية واللغات السامية الأخرى . يكاد يكون ثابتا أن الصوتين موروثان عن اللغة السامية الأم ، ولكن ثمة تغيرات حدثت لهما فى عدد من اللغات السامية المفردة .

فقدت الأكادية صوت الغين وحلت الهمزة محلها ، ويرمز الباحثون المعاصرون للهمزة الناتجة فى الأكادية عن الغين بعلامة الهمزة مع رقم ٥ . وقد احتفظت الأكادية بصوت الخاء ، وكادت هذه الخاء تحل فى حالات بأعيانها محل أصوات أخرى كثيرة ، وذلك فى إطار الخلط بين الأصوات الحنجرية والحلقية واللهوية ، ومن أمثلة هذا الخلط كتابة الكلمة المقابلة لكلمة "برعم" ، كتبت تارة بالهمزة وأخرى بالخاء ، وكذلك الكلمة المقابلة لكلمة "نبح" كتبت بالخاء . وهكذا حلت الخاء فى تدوين بعض الكلمات الأكادية محل العين ومحل الحاء فى السامية الأولى ، وهذه أمثلة محدودة . ولكن تبقى الملاحظة العامة بأن العين والحاء الساميتين تحولتا إلى همزة فى الأكادية ، وهذه الهمزة اختلطت فى التدوين فى أمثلة بأعيانها بالخاء .

(٢٦) عند سيبويه (٤٥٣/٢) أنهما من أدنى الحلق ، وصنفهما كانتينو بأنهما تكونان مجموعة « الحروف الرخوة اللهوية » (انظر : جان كانتيتو ، دروس فى علم أصوات العربية ، تونس ١٩٦ ، ص ١١٣) . ويبدو أن لكل تحديد منهما جانبا من الصواب ، وقد أثبت العانى تجريباً أن الوحدة الصوتية (غ) لها فى النطق صورتان صوتيتان ، إحداهما لهوية Uvular الثانية من أدنى الحلق Velar (انظر : –

S . Al-Ani, Arabic Phonology, Mouton The Högue 1970, P . 34 - 35 .

لم تحتفظ بصوت الخاء من بين اللغات السامية إلا الأكادية والأجريتية من جانب والعربية الشمالية والعربية الجنوبية والجعز من الجانب الآخر . ومعنى هذا أن الخاء استمرت فى أقدم لغتين فى الشرق والشمال ، وهما : الأكادية والأجريتية ، وفى أقدم لغات الفرع الجنوبى ، وهى : العربية الشمالية والعربية الجنوبية ولغة الجعز . ولهذا يمكن القول بأن هذا الصوت وحدة صوتية موروثة عن اللغة السامية الأولى . وقد تحول صوت الخاء إلى حاء فى اللغات العبرية والفينيقية والآرامية ، وحدث التحول نفسه فى لهجة عربية واحدة وهى المالطية - وربما كان التحول فى المالطية بتأثير الأساسى اللغوى البونى (٢٧) - وحدث هذا التحول - أيضاً - فى لغة عربية جنوبية حديثة وهى السقطرية . أما اللغات السامية الحديثة فى الحبشة فلم تحتفظ بصوت الخاء الذى تحول فى اللغات المختلفة إلى حاء أو إلى هاء أو حدث له اختفاء تام (٢٨) .

---

(٢٧) انظر : كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ١١٥ ، وبرجشتراسر :

Bergsträsser, Einführung 177 - 179 .

وفيه نص مالطى مع تدوينه بالخط الصوتى وترجمته إلى الألمانية وإيضاح الأصل القديم فى العربية الفصحى ، فكلمة خبز العربية يقابلها ما يكتب فى العربية المالطية المحلية hopz وبالخط الصوتى hops ، وكلمة خرج يقابلها ما يكتب محليا hareg وبالخط الصوتى hare . وفى المثالين نجد الحاء قد حلت محل الخاء .

(٢٨) انظر ما كتبه كانتينو عن الأصوات فى اللغات السامية وذلك فى J . Cantineau, Etudes, P . 287 وما كتبه أولندروف عن الأصوات فى اللغات السامية فى الحبشة: E.ullendorf, The semitic Languages in Ethiopia: وفيه دراسة مفصلة للبنية الصوتية فى اللغات السامية المختلفة فى الحبشة وأثبت أن الأمهرية أقل اللغات السامية

أما الغين ، وهى المقابل المجهور للخاء ، فقد ورثتها العربية والأجريتية والعربية الجنوبية عن السامية الأم . وتحولت فى باقى اللغات السامية إلى عين وهكذا التقى فى هذه اللغات صوتا العين فى تلك اللغات تقابل العين والغين معا فى اللغات السامية الأخرى . وقد أثار موضوع قدم صوت الغين فى اللغات السامية عدة تساؤلات ، وشك البعض فى وجود الغين فى السامية الأم (٢٩) يقول أصحاب هذا الرأى - وفى مقدمتهم الباحث التشيكى روتشيكا - بأن هذا الصوت صورة صوتية للعين ، أو بعبارة أخرى : العين والغين معا وحدة صوتية واحدة لها صورتان صوتيتان . يستدل أصحاب هذا الرأى بأمثلة بينها علاقة دلالية ، وفى العربية (عميق وغميق) ، ويجعل هذا الرأى العين أصلا ساميا موروثا ، ثم حدث فى اللغة العربية انقسام لهذه الوحدة الصوتية إلى وحدتين صوتيتين اثنتين . وقد أثبت كانتينو أن العين والغين وحدتان صوتيتان متميزتان فى اللغة السامية الأولى ، بدليل تميزهما فى العربية

الحبشية محافظة على الأصوات الموروثة على عكس لغتى التجرى والتجرينا ، وانظر - أيضا - ما كتبه المؤلف نفسه عن اللغات فى كتابه عن الأحباش :

E . Ullendorf, The Ethiopians, London 1960, P.116 - 135 .

وما كتبه ليتمان عن اللغة الحبشية فى :

E . Littmann, Die äthiopische Sprache, in : Handbuch der Orientalistik, (ed. Spuler) , Leeden 1954 , S . 354 ff .

(٢٩) انظر البحوث المتتابعة فى هذا الموضوع :

R . Ruzicka, Über die Existenz des ġim Hebräischen, in : Zeitschrift für Assyriologie XXI 1908, S . 293 - 340 .

———— , Zur Frage der Existenz des g im Ursemitischen, in : WZKMXXCC 1912, S . 96-106, XXVIII 1914 S . 21 - 45 .

———— , L' atternace de - g en Arabe d'après les temoignages des grammairiens et lexicographes arab-s, in : Journal Asiateique, CCXX , 1932, P . 67 - 115 .

وفى بعض الأبجديات السامية القديمة ومنها الأبجدية العربية الجنوبية ،التى جعلت للعين رمزاً متميزاً عن الرمز الخاص بالغين . ووجود هذا التمييز بين العين والغين فى الأجريتية والعربية الجنوبية (٣٠) والعربية الشمالية يشهد بكون كل صوت منهما وحدة صوتية متميزة موروثة عن اللغة السامية الأولى .

خامساً – مجموعة الأصوات الشديدة من أقصى الحنك واللهاة :

تضم هذه المجموعة فى اللغات السامية ثلاث أصوات شديدة (٣١) ، وهى الكاف المهموسة والجيم المجهورة والقاف اللهوية (٣٢) . وقد تغير نطق هذه الأصوات تطورات مختلفة ولكنها لم

---

(٣٠) انظر :

A . Beeston, P . 11 - 12 .

J . Cantineau, P . 287 .

(٣١) مصطلح المحدثين Stop وقف ، أو :Plosive انفجارى يعنى شديد بمصطلح سيبويه (طبعة بولاق ٢/ ٤٠٥) ، وفى مصطلح تعريف المحدثين لهذا الصوت : تتكون الأصوات الانفجارية بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما فى موضع من المواضع ، وينتج عن هذا الحبس ، أو الوقف أن يضغط الهواء ، ثم يطلق سراح المجرى الهوائى فجأة – فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجارياً (محمود السعران ، علم اللغة ١٦٦) .

(٣٢) مخرج الكاف والجيم المجهورة الحنك اللين Velum ، وهو القسم اللين الخلفى من سقف الفم ، ويوصف الصوتان بأنهما Velar . أما مخرج القاف فى نطق العربية الفصحى ، فهو اللهاة Uvula ، وتوصف بأنها Uvular .

تختلط وفى هذه المجموعة احتفظت العربية الشمالية بصوتى الكاف والقاف من اللغة السامية الأم ، ولكن الجيم المعطشة كما تعرفها الفصحى ليست امتدادا لصوت سامى قديم ، بل هى ثمرة تطور فى العربية ، فلا تعرف أية لغة سامية سوى العربية الفصحى الجيم المعطشة . فى العربية الجنوبية كانت الجيم تنطق مثل الجيم فى لهجة القاهرة . وقد ثبت عند المتخصصين فى العربية الجنوبية القديمة أن الجيم كانت صوتا شديداً ، ولم تكن صوتا احتكاكيا أو مركباً احتكاكياً . وقد أشار بيستون إلى اختلاط كتابة الجيم فى العربية الجنوبية القديمة بالقاف لأن كليهما كان صوتا شديداً (٣٣) . ويعد بروكلمان هذا الصوت الشديد كما عرفته العربية الجنوبية استمرارا للصوت نفسه فى اللغة السامية الأولى ، ويرى أن الجيم المعطشة هى ظاهرة ناتجة عن تحويل الجيم الشديدة إلى مركب احتكاكى (الجيم الفصحى). ويشير بروكلمان فى هذا إلى تحول مواز وهى الكاف الشديدة إلى مركب احتكاكى (٣٤) ، نعرفه فى بعض لهجات الخليج العربى . أما الكاف الشديدة فهى ذلك الصوت الذى نعرفه فى العربية الفصيحة .

---

(٣٣) المرجع السابق لبيستون A . Beeston P . 12

(٣٤) بروكلمان Brockelmann, Grundriss I / 123 .

وقد أشار بعض الرحالة والباحثين إلى وجود هذا النطق الشديد للجيم فى مناطق من الجنوب العربى وعمان ، انظر المقدسى " أحسن التقاسيم " ص ٩٦ والإشارة المذكورة عند بروكلمان ١ / ١٢٢ . وتنطق هذه الجيم حتى اليوم .

أما القاف فقد كان سيبويه دقيقاً فى وصفه لنطق هذا الصوت بالجهر ، وما تزال القاف تنطق عند البدو فى كل أنحاء العالم العربى كما تنطق فى لهجات الخليج العربى نطقاً مجهوراً ، يجعلها فى بعض المناطق أقرب إلى الجيم المصرية وفى مناطق أخرى أقرب إلى الغين[٣٥] ، وكلاهما صوت مجهور . أما القاف فى الأكادية فقد اختلطت فى الكتابة أحيانا بالغين ، والغين صوت مجهور ، فقد أحس الأكاديون بالغين والقاف صورتين صوتيتين لفونيم واحد ، مما يشهد بأن القاف الأكادية كانت صوتا مجهوراً[٣٦] . ومن كل هذا نخرج بأن القاف فى السامية الأم وفى الأكادية وفى العربية كما وصفها سيبويه كانت صوتا مجهورا ، وأما النطق الحالى المهموس للقاف فى الأداء المعاصر للعربية الفصحى فهو شيء حادث جاء بعد تغير صوتى .

وثمة ملاحظة حول الكاف والجيم فى الفرع الكنعانى كما يتضح فى العبرية ، وفى الفرع الأكادى من اللغات السامية . فالوحدة الصوتية الكاف تنطق فى العبرية والآرامية فى صورتين صوتيتين ، إحداهما شديدة أى مثل الكاف العربية والأخرى احتكاكية أى مثل الخاء العربية . والوحدة الصوتية الجيم تنطق فى العبرية والآرامية فى صورتين صوتيتين ، إحداهما شديدة أى مثل الجيم العربية الجنوبية القديمة والجيم فى لهجة القاهرة ، والأخرى احتكاكية مثل الغين فى العربية . والتمييز بين الصورتين الصوتيتين المذكورتين لكل وحدة من الوحدتين الصوتيتين المذكورتين هو أمر حادث ، ولا يعكس

---

(٣٥) قانون تفصيل ذلك عند كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ، الترجمة العربية ص ١٠١ – ١٠٣ ، وجونستون : . Johnstone, Eastern Arabian Dialects, London

وكذلك عند عبد العزيز مطر ، خصائص اللهجة الكويتية ، الكويت ١٩٦٩ ، ص ٣٧ – ٤٤ .

(٣٦) انظر : Von Soden, Grundriss, s. 27 - 28

لاحظ فون زودن الخلط بين الكاف والجيم فى الكتابة الأكادية مع أن وجود الأخطاء فيها نادرا جداً ، ويكن تفسير هذا باختلاف الكاف المهموسة عن الجيم المجهورة . انظر المرجع السابق ص ٢٨ .

النطق الموروث عن اللغة السامية الأولى[٣٧] . وقد حدث تمييز النطقين الشديد والاحتكاكى للكاف والجيم فى الآرامية أول الأمر ، ثم تأثرت به العبرية ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد ، واستقر هذا الأمر فى القرن الثالث قبل الميلاد[٣٨] ، وينبغى هنا أن نلاحظ أن العبرية والآرامية لا تعرفان وحدة صوتية للخاء ولا وحدة صوتية للغين . وأن الصوتين قد ظهرا فيها فى هذه الفترة فى إطار جديد ، وهو تعدد الصور النطقية أو الصور الصوتية للكاف والجيم على الترتيب ، ولا صلة لهما من حيث مكانهما فى النظام الصوتى بغير هاتين الوحدتين الصوتيتين .

وقد احتفظت اللغات السامية فى الحبشة بالقاف والكاف والجيم بوصفها وحدات صوتية متميزة ، وإن تغير نطق هذه الأصوات . وقد وصف بروكلمان نطق هذه الأصوات فى الجعز والامهرية والتيجرينية بأنه يحدث باستدارة الشفتين[٣٩] ، وفسر هذا التغير النطقى بتأثير اللغات الكوشية المحيطة باللغات السامية فى الحبشة . والملاحظ هنا أن هذه اللغات لا تعرف وحدة صوتية متميزة للخاء ، ومن ثم فهم يكتبون الألفاظ الدخيلة فى لغتهم من العربية مستخدمين الحرف الخاص بالكاف الحبشية لنقل صوت الخاء فى العربية[٤٠] .

---

(٣٧) حول التمييز فى الكتابة بين الصورتين الصوتيتين والعلامات الإضافية المبينة لذلك انظر ماكتبه ماير :

R . Meyer, Hebräische Grammatik , s. 45 .

(٣٨) عن رموز الضبط النطقى التى أضافتها كل من مدرسة طبرية ومدرسة بابل . R . Meyer , s. 92.

(٣٩) انظر : C. Brockelmann, Grundriss, 1/124

(٤٠) وعلى هذا فهم يكتبون الكلمات العربية خدم ، خلص ، خسارة رخام ، تاريخ مستخدمين حرف الكاف الحبشية ليعبر عن الخاء العربية .

سادساً : الأصوات الأسنانية :

١) عرفت اللغة السامية الأولى - فى رأى علمـاء المقـارنات - ثلاثـة أصـوات أسنانية[٤١] هى : التاء والدال والطاء .

٢) احتفظت العـربية بهذه الأصوات الثـلاثة ، كمـا احتـفظت بها كل اللغـات السامـية الأخـرى . وتتقـابل أصوات هذا الثالوث على الـنحو التالى : التـاء صوت مهموس غير مطبق ، والدال مجهور وغير مطبق ، والطاء صوت مطبق .

أما الجهر والهمس فى الطاء فموضوع نظر ، فالطاء تنطق فى كل اللغات السامية الحديثة نطقـا مهموسا ، وهى بهذا تعـتبر المقـابل المطبق للتـاء المهـمـوسـة . ولكن سيبويه[٤٢] جعلها بالنسبة للعربية فى القرن الثانى الهجرى من الأصوات المجهورة .

ولاحـظ فـون زودن[٤٣] أن الطـــاء كـانت تنطق فى اللغـة البابليـة القـديمـة فى جنـوب العـــراق نطقـا مـجـهــوراً أيضـــا ، واســتـــدل علـى ذلك بأنهـا كثـيـــرا مـــا كـتبت هناك بالرمـز الخاص بالدال عنـدمـــا ضـــعـف الإحـــســـاس بالتـمييـز بين المطبق وغيـر المطبق . وعلى هذا كانت الطاء القديمة ، كما تشهد بذلك العـربية والأكاديـة صوتا أسنانيـا مجـهوراً مطبقا .

سابعاً : الأصوات بين الأسنانية :

أ - كانت اللغة السـامية الأولى تضم كـمـا اتضح من المقـارنات اللغـوية ثلاثة أصـوات بين أسنانية ، هى : الثـاء والذال والظاء . وقد احتفظت اللغـة العربية بهذه الأصـوات . أمـا فى اللغـات السـامـيـة الأخرى [٤٤] فقد تغيرت هذه الأصوات فى عدة اتجاهات . يلاحظ أن العربية الشمالية.

---

(٤١) يطلق عليها بروكلمان وغيره مصطلح Dentale ويسميها كانتينو وغيره "Les apicales "a pointe haute انظر بروكلمان ١/١٢٨

وكانتينو J. Cantineau, le Consonantisme du semitique, en: Etudes de Linguistique Arabe, P.282.

(٤٢) قال سيبويه فى « الكتاب ٢/ ٤٠٧ ما نصه : لولا الأطباق لصارت الطاء دالا »

(٤٣) Von soden, Grundriss, s. 29

(٤٤) C. Brockelmann Grundriss,1/128 Syrische grammatik s. 15

G . Bergsträsser, Einführung in die Semitischen Sprachen s. 4.

وهناك اختـلاف فى الرموز المستخـدمة عن كل من بروكلمان وبرجـشتواسر للدلالة على صـوت الظاء ، رمزها عند برجشتراس (d) جعل هذا الصوت مجهوراً مطبقا بين أسنانى ، وهذا صحـيح فالظاء صوت مجهور فى العربية ، وقد رمز برجشـتراس فى مـواضع أخرى للظاء فى العربيـة برمز مـخالف (Z) ، وهو فى هذا يتابع العـرف السائد عن كثـير من المستشرقين فى النقل الحرفى للظاء العربية إلى الخط الصوتى ، وفى هذا العرف قصور فى الدلالة على كون الظاء فى نطقها فى العربيـة الفصحى صوتا بين أسنانى ، ويرمـز للإصوات بين الاسنانية بخط صغـير تحت الحرف كمـا جاء فى الجدول المذكور .

تتفق مع اللغات العربية الجنوبية فى هذه المجموعة[٤٥] . ولعل أهم تحول طرأ على هذه المجموعة فى العربية هو ماحدث لصوت الظاء ، فقد كانت فى السامية الأم - كما يفترض بروكلمان وفيشر - صوتا مطبقا بين أسنانى مهموسا ، أى أنها كانت المقابل المطبق للثاء فى السامية الأم فأصبحت المقابل المطبق للذال [٤٦] . وهذا الرأى يجعل من الممكن تفسير تغير هذا الصوت المطبق المهموس بين الأسنانى إلى طاء فى الآرامية ، وذلك بتغير سمة واحدة من سمات الصوت- وهى المخرج - من بين أسنانى إلى أسنانى على نحو ما حدث لباقى الأصوات بين الأسنانية .

وقد لوحظ بالنسبة لصوتى الذال والظاء فى العربية الجنوبية مايأتى :

١) وجد ليتمان حرف الذال فى تدوين الكلمتين الجنوبيتين : (ذ ك ن م) (ق ر ذ) وهما تقابلان فى العربية الشمالية : دكين وقرد ، واستنتج من هذا أن الحضرمية كانت تنطق الذال نطقا مشابها للدال ، ومن ثم حدث خلط بينهما فى

---

(٤٥) رمز بيستون A.F.L . Beeston فى :

A descriptive Grammar Epigraphic South Arabian P . 12 , 13 , 15

للثاء كما رمزنا لها وللذال كما رمزنا لها ولكنه رمز للظاء بالرمز Z كما فعل برجشتراسر بالنسبة للعربية .

(٤٦) انظر مقال فيشر : ض W . D. Fischer, Die Position von im Phonem system des Gemeinsemitischen, Wiss . Z . Universität Halle, XVII 68 G . H . 2/3 s. 55 - 63 .

كتابة الكلمتين المذكورتين[٤٧]، ويرى بيستون أن المثالين المذكورين لا يشكلان ظاهرة عامة في الخلط بين الدال والذال[٤٨] .

٢) هناك نقوش كثيرة يبدو فيها خلط بين حرف الصاد وحرف الظاء في رأى بعض الباحثين[٤٩] . ومن الصعوبة بمكان أن يميز الباحث بين الحرفين للشبه الكبير بينهما فى الكتابة العربية الجنوبية القديمة[٥٠]

٣) جعل التغير في الأكادية والكنعانية مجموعة الأصوات بين الأسنانية تتحول إلى مجموعة أصوات الصفير . كان هذا التحول قد تم فى الأكادية منذ وقت طويل ، ولكن اللغة الأجريتية لم تعرف هذا التغير فى كل جزئياته ، فقد احتفظت الأجريتية بالثاء السامية القديمة ، ويتضح هذا من الكلمة الدالة على الرقم ثلاثة فقد كتبت بالأجريتية بالثاء . وظلت الذال كذلك فى الأجريتية ثم بدأ تحول الثاء إلى شين ، والذال إلى دال فى النقوش الأجريتية المتأخرة[٥١] .

(٤٧) E . Littmann, in ZDMG , 101 s , 377 .

(٤٨) A . Beeston, P . 13 .

(٤٩) يقول بيستون ، المرجع المذكور ص ١٥ . إن عدد أمثلة الخلط (بين الصاد والظاء) يشكل نسبة عالية جدا من كل الكلمات التى تدخل الظاء فى حروفها الأصول ، وهناك أسباب للاعتقاد أن الحرفين لم يكونا فى منطقة من البيئة اللغوية العربية الجنوبية وحدتين صوتيتين متميزتين .

(٥٠) انظر قائمة الرمز العربية الجنوبية فى الكتب التالية :

M. Höfner, Altsüdarabische Grammatik (Porta linguarum Or ., 25) Leipzig,(1943)

D Brockelmann, Grundriss, 1 . 128 - 129 .

A . Beeston , P . 15

(٥١) J . Friedrich, Phöizisch-Punische Grammatik, s . 8 .

ويوصف التحول الذى أصبح مطردا فى العبرية والفينيقية والذى كان من شأنه أن تحولت الثاء السامية القديمة إلى شين والذال السامية القديمة إلى زاى والظاء إلى صاد بأنه « التحول الصوتى الكنعانى » .

وبهذا اختلفت اللغات الكنعانية عن اللهجات الآرامية من هذه الناحية ، نجد شينا فى الكنعانية يقابلها فى الآرامية تاء بدلا من الثاء العربية ، ونجد طاء بدلا من الظاء العربية ، ودالا بدلا من الذال العربية. وبهذا حدث فى الآرامية تحول صوتى تكرر فيما بعد فى اللهجة العربية فى مصر إذ تحولت الثاء إلى تاء تلاتة) و (ذا : ده) أما الفعل الآرامى (نظر) فيقابل تأصيليا الفعل العربى (نظر) . وقد اللغة العربية في منطقة الشام ثم فى دخل المناطق الأخرى فهم يتحدثون عن الفعل (نظر) وعن (الناطور). وهذه الكلمات بهذه الصيغ ذات الطاء مأخوذة عن الآرامية مباشرة ولو كانت عربية لاحتفظت بالظاء .[(٥٢)]

ثامنا : صوت الضاد :

١) ليس هناك وصف دقيق لنطق الضاد يوضح خصائصها دون لبس[(٥٣)] وعلى الرغم من هذا فقد استطاع الباحثون تتبع الأصوات المقابلة للضاد فى اللغات السامية المختلفة[(٥٤)]

---

(٥٢) انظر : المعرب للجواليقى ٣٣٤ ، ٦٨ ، وعلم اللغة العربية لمحمود حجازى ، الكويت ١٩٧٣ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٥٣) انظر : سيبويه ، كتاب سيبويه ، طبعة بولاق ٢/ ٤٠ ، طبعة القاهرة ١٩٧٥ ، بتحقيق عبد السلام هارون ٤/ ٤٣٢ .

(٥٤) R . Meyer, Hehṛäische Grammatik, 1/25 92.

وكذلك

W . Fisher, Die Position von im Phonem system des Gemeinsemitiochen, Wiss . Z . Universitat Halle,. 1968, 55 - 63

ظلت الضاد السامية القديمة فى كل لغات المجموعة الجنوبية وهى العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية ، أما فى الأكادية والكنعانية فقد تحولت الضاد إلى صاد ، كما تحولت فى الآرامية إلى عين .

ويرى جان كانتينو أن الضاد كانت فى اللغة السامية الأولى ضمن مجموعة أصوات أطلق عليها مصطلح Les Laté-ralisées الأصوات الجانبية . وبهذا خالف كانتينو الرأى القائل بأن النطق الجانبى لهذه الأصوات هو تغير حدث فى العربية الجنوبية الحديثة[٥٥] ورأيه أن الضاد السامية القديمة كانت صوتا يتسم بالإطباق والنطق الجانبى emphatique latéralisée .

(٢) يتفق الباحثون على أن اللغات السامية الجنوبية قد احتفظت بالضاد السامية القديمة وهناك خلاف كبير حول نطق الضاد العربية القديمة ، فقد ترك وصف سيبويه لها بعباراته غير الواضحة مجالا كبيراً للتفسير . أما فى اللغة العربية الجنوبية فأمثلة وجود الضاد فى النقوش القديمة كثيرة[٥٦] . وتنطق هذه الوحدة الصوتية فى اللهجات العربية الجنوبية الحديثة نطقا يختلف من لهجة لأخرى (السقطرية والمهرية والشحرية) . تنطق الضاد فى النطق التقليدى للحبشية لا يعكس النطق الجعزى القديمة لها ، فهم ينطقونها صاداً أو طاء[٥٧] للحبشية نطقاً يعكس النطق الجعزى القديم لها ، فهم ينطقونها صاداً أو طاء[٥٧]

---

(٥٥) J . Cantineau, Etudes de Linguistique Arabe, P . 233 - 284

ورفض كانتينو ص ٢٨٥ كذلك الرأى القائل بأن الصوت السامى القديم الذى نتجت عنه الضاد العربية كان مهموسا على عكس الصوت السامى القديم الذى نتجت عنه الظاء العربية المجهور ، واعتمد كانتينو فى رفضه لذلك على أنه لا توجد أية لغة سامية قديمة تميز فى داخل الأصوات المطبقة عن طريق الهمس والجهر ، ففى العبرية والحبشية وربما كذلك فى الأكادية كل الأصوات المطبقة مهموسة .

(٥٦) هناك أمثلة بين الضاد والطاء من جانب والضاد والصاد من الجانب الآخر . وليس من الصواب أن نتفق مع رأى الباحث Stehle فى كون تبادل الضاد والصاد فى الكتابة فى تلك الأمثلة القليلة دليلا على أن الرمزين كانا لصوت واحد وقد اعتبر بيستون هذه الأمثلة شاذة ونادرة ولاتعكس ظاهرة عامة .

(٥٧) انظر بروكلمان Grundriss, 1/134

E. Mittwoch, Die traditionelle aussprache des Athiopischen, Berlin (1926)

وكذلك Handbuch der Orientalistik , Semitistik s . 135 - 136.

٣) ينبغي أن نميز في الآرامية بين صوتين مختلفين تحولت إليهما الضاد السامية الأولى ، ففي النقوش الآرامية القديمة نجد صوت القاف في مقابل الضاد السامية[٥٨] ولكن كل اللهجات الآرامية عرفت العين في مقابل الضاد السامية القديمة ، وهناك محاولات كثيرة غير مقنعة لتفسير تطور نطق الضاد إلى قاف[٥٩] ، وليس من الصعب تفسير تحول القاف إلى عين ، إذا تصورنا هذه القاف ذات نطق مماثل لنطق الغين كما في الكويت والسودان عندما تحولت كل غين إلى عين في الآرامية انطبق هذا أيضاً على ذلك الصوت . وبصفة عامة كان الآراميون ينطقون العين في مقابل العين والغين والضاد في السامية الأولى [٦٠] .

تاسعاً : أصوات الصفير :

١) تعرف كل اللغات السامية أربعة صوامت من أصوات الصفير هي السين والصاد والزاي والشين[٦١] . وأضاف إليها البحث المقارن في اللغات السامية صوتا خامسا بائداً هو السين الجانبية أو الشجرية وتوجد أصوات الزاي والصاد والسين والشين في كل اللغات السامية . والزاي صوت مجهور غير مطبق ، والسين صوت مهموس غير مطبق ، والصاد صوت مهموس غير مطبق . أما الشين نهى صوت مهموس غير مطبق أما في اللغات الكنعانية والعربية الجنوبية فكان يوجد صوت آخر[٦٢] ، وعبروا عن ذلك في الخط بحرف مستقل[٦٣] .

(٥٨) انظر :

N . Yousmanov, la correspondance du arabe au araméen comptes-rendus de L'Académie des sciences de l' V. R . S . S. (1926) p . 41 .

(٥٩) انظر بحث فيشر .

(٦٠) انظر قائمة الألفاظ السامية عند بر برجشتراس

G.Bergstrasser, Einfuhrung S.182 - 192

(٦١) اطلق جان كانتينو على مجموعة السين والصاد والزاى مصطلح : Les sifflantes وخص الشين بمصطلح آخر هو Le chuintante

(٦٢) انظر بروكلمان : C . Brockelman, Grundriss, 1/128

(٦٣) عرف الخط الإجاريتى رموزا مستقلة لكل صوت من هذه الأصوات ، كما يميز الخط العبرى بين الشين ذات الأذرع الثلاثية والسين ذات الأذرع الثلاثية والسامح والزاى والصاد ، كذلك فى الخط الفينيقي ، أما فى الخط العربى الجنوبى القديم فهناك بجانب الصاد المطبقة والزاى المجهورة ثلاثة رموز أخرى ، تدل علي سين وشين وعلي صوت ثالث .

F. A . Schaeffer, RRV II, 184

R . Meyer, Hebräiche Grammatik, 192

F . Friedrich, Phöizisch- Punische Grammatik,s.6 .

A . Beeston, A Descriptive Grammar of Epigraphic south Arabian, P . 4 .

C . Brockelmann, Grundriss, 1/128

D . Stehle, Sibilants and Emphatics in South Arabic Journal of the American Oriental society 60 (1440) PP . 507- 43 .

J . Cantineau, Mutation des sifflantes, in Melanges . Gaudefroy - Demombynes 1939 - 46, PP 313 - 323 .

وقد لاحظ بيستون (٦٤) أن اللهجات العـربيـة الجنوبيـة الحـديثـة مـثل المهـرية والسقطرية والشجرية تتفق من هذا الجانب مع اللغة العبرية ، فالشين فى العبرية تقابل اشتقاقيا الشين فى العـربية الجنوبية الحديثة والسين تقابل السـين وأما ما يرمـز إليه فى العبـرية بحرف السـامخ فهو يـقابل السين الشـجرية فى اللهـجات العـربية الجنوبيـة الحديثـة ،ووجود هذا الاتفـاق فى أطراف متـضادة من عـالم اللغات السـاميـة جعل بيـستـون يميل إلى القـول بأن هذا يعكس العلاقات التى كانت قائمة فى اللغة العربية الجنوبية ومعنى هذا أن تغيـرا ما قد حدث فى العربية الشمالية .

وبذلك يمثل صـوت الـسين العـربيـة صوتين اثنين كانا مختلفين فى اللغة السامية الأولى وفى الكنعانية وفى العـربية الجنوبية القديمة ولا يزالان مـتميزين فى اللهـجات العربيـة والجنوبية الحـديثة . وبينمـا يقابل صوت الشين فى العـربية صـوتاً واحداً فى كل من الكنعانيـة والعربية الجنوبيـة القديمة والحديثة . (٦٥)

---

(٦٤) A . Beeston , A . Descriotive Grammar of Epigraphic South Arabian, P . 13.

(٦٥) يقابل الرمز s1 عن بيستون الشين نطقا وذلك بدليل أنه يعبر عن الحرف العربى الجنوبى الذى كتبت به الشين فى الكلمات ذات الشين التى دخلت من اللغة السريانية العـربية الجنوبية القديمة . أما الرمز s2 فيعبر بالنسـبة للعربية الجنوبية الحديثة عن السين الشجرية . ويعبر الرمز s3 عن صوت السين وهو نقل للحرف العربى الجنوبى الذى كتبت به السين فى الكلمات الدخيلة من اليونانية فى العـربية الجنوبية القـديمة . وهناك خلاف بعيد حـول القيمـة الصوتية للحروف العـربية الجنوبية القديمة الدالة على هذه الأصوات الثلاث ، قارن ماسبق ببحث ماريا هوفنر .

Maria Höfner, Des Südarabische der Inschriften und der Lebenden Mundarten, in : Handbuch der Semitistik, s . 318 .

عاشراً : أصوات الذلاقة :

١) توجـد فى كل اللغـات السـاميـة أصوات الراء واللام والنون ، ويطلق على الراء واللام مصطلح الأصـوات المائعة[٦٦] Liquides بينما تعد النون صوتا شفويا [٦٧] وهذه الأصـــوات الثـــلاثة من اللغـــة السامية الأولى .

وهناك أمـثلة فى العربيــة للتغـير بين أصوات الذلاقة . وقد تحولت الميم النهائية إلى نون فى العـربيــة ، وعلى هذا فـقـد تحولت الميم إلى نون فى أداة الشرط «إن» وتوجد هذه الأداة فى كل اللغات السـامية الأخـرى بالميم ، ففى العـبرية im ، كما أن نــون التــنـوين مـتـحــولة وفق نفس القــانون عن مـيم التمـيم التى توجـد فى الأكادية ، ولكن المواد ذات الميم مـثل قوم فى قام يقــوم احتـفظت بهذه الميم النهـائية دون تعديل .

---

(٦٦) A . F . L. Beeston, Phonology of the Epigraphic south Arabian Unvoiced Sibilants (Transactions of the philological Society (1951) .

J . Cantineau, Etudes, P . 286 .

Von Soden Grundriss, s. 31 - 32 .

(٦٧) أفدنا هنا من وصف الخليل بن أحـمد لها بأنها ذليـفة أو ذلقة (كتب العين ، تحـقيق عبد الله درويـش ، بغداد ١٩٦٧ ، ٥٧) و وقد أطلق بركلمـان مصطلح Sonorlaute للدلالة على أصوات الراء واللام والنون والميـم ، ويدل المصطلح على الأصوات الصامتـة ذات الوضوح السمعى القوى ، وهذه الأصوات موجودة بوصفها وحدات صوتية متميزة في كل لغة من اللغات السامية ، وسماها برجشتراسر « الحروف الصوتية المحضة » التطور النحوى ١٣ . وترجع تسميتها بالأصوات المتوسطة إلى أنها أكثر وضوحا فى السمع من باقى الصوامت وأقل وضوحا من الحركات

وفــوق هذه التــغيرات فى الــكلمات الوظيــفــيــة والنظــام اللغـــــوى هنـــاك أمــثلـــة لكلمــات وردت فى العربيــة من الناحيــة المعجمية منتهية بالميم أو النون[٧٥] منهــا : الحـــزم = الحـزن ، بمعنى الأرض الغليظة ، قاتم = قاتن ، بمعنى أسود .

حادى عشر : الأصوات الشفوية :

١) عرفت اللغة الســامية الأولى ثلاثة أصوات شفــوية هى الباء المهمــوسة والباء المجهورة والميم . وقد تطورت الباء اللغات الســاميــة إلى فــاء ، ومعنى هذا أن البــاء فيــالمهمــوسة فى لغات الفــرع الجنوبى من الأكادية والكنعانية والآرامية تقابل الفاء فى العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية، ويتضح هذا من مــقارنة الكلمات العــربية والعربيــة الجنوبية : فــرق ، نفس ، ألف من جــانب بالمقــابل للاشتــقــاقى فى باقى اللغات السامية من الجانب الآخر نجد الفاء فى العربية والعــربية الجنوبية والحبشــية تقابل الباء فى العبرية والأكادية والآرامية .

---

(٧٥) الأمثلة المذكورة من كتاب القلب والإبدال لابن السكيت فى الصفحــات ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ومن كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى ص ١٠٠ - ١٠١ ومن كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٤٢٣ وما بعدها .

C . Brockelman , Grundriss, 1 / 136 .

J . Cartineau , Etudes, P . 280 .

A . Beeston , A descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, P , 15 - 16 .

Von doden, Grundriss der Akkadischen Grammatik , s 26 - 27 .

٢) وقد أثار بعض الباحثين قضية وجود صوت مطبق شفوى فى اللغة السامية الأولى [٦٩] ، واستدلوا على هذا بلغة الجعز ، وهناك فرق بين الرأى القائل بوجود الباء المهموسة التى يرمز إليها عادة بحرف P وبين وجود الباء المطبقة المجهورة التى يرمز إليها بحرف b . فالصوت P مهموس أما والصوت b وكذلك b فهما مجهوران ، لقد عرفت اللغة السامية صوت الباء المهموسة واحتفظت به اللغات السامية الشمالية وتغيرت هذه الوحدة الصوتية فى لغات المجموعة الجنوبية إلى فاء . أما وجود صور صوتية مختلفة للباء (أو للفاء أو للميم أو للام أو للراء) بالتفخيم أو بالترقيق ، فيبدو أنه لا يدل على اللغة السامية الأولى بل هو ثمرة تحول تال فى لغة أو أكثر من اللغات السامية ، ففى عدد من اللهجات العربية نجد باء مفخمة وأخرى غير مفخمة [٧٠] ، ولكن كليهما فى العربية وحدة صوتية واحدة ، ومثل هذا يقال بالنسبة للباء المهموسة فقد تحولت إلى الفاء العربية وهذا لا ينفى وجود الباء المهموسة فى بعض اللهجات العربية لا بوصفها وحدة صوتية متميزة بل باعتبار أنها صورة صوتية للباء وعلى هذا لا يمكن اعتبار وجود الباء المهموسة فى الحبشية دليلا على وجود صوت شفوى مطبق فى اللغة السامية الأولى .

---

(٦٩) انظر :

H . Möller, Semitisch and Indogermanisch, I (Kopenhage, 1906) , p . 33 , 105 ff,

Die Semitischen P- Laute, in ZDMC LXX (1916) s . 145 - 163 .

H . Grimme, Semitische P - Laute, in ZDMC, LXVIII (1914) s 259 - 269 .

(٧٠) J . Cantineau, Etudes sur quelques parles de nomades arabes d' Orient, 1 P. 12 - 16.

Le dialecte arabe de Palymre, I , P, 44 - 48, Etudes , P . 281 .

R . S. Harrell, The Phonology of Collognial Egyptian Arabic , P. H .

ثانى عشر : الثوابت والمتغيرات .

١) هناك ثوابت ومتغيرات فى تطور النظم الصوتية للغات السامية ، والمقصود هنا بالثوابت تلك الوحدات الصوتية التى تجدها فى اللغات السامية كلها من أقدمها إلى لهجاتها الحديثة ، ونفترض أيضا أنها كانت مع هذا النحو فى اللغة السامية الأم

وقد اتضح من العرض السابق أن الوحدات الصوتية التالية تعد من الثوابت فى بنية اللغات السامية :

أ- وحدات الأصوات الشفوية . ب م

ب- وحدات أصوات الذلاقة. ر ل ن

ج - وحدات أصوات الصفير: س ز س

د - وحدات الأصوات الأسنانية: ت د ط

هـ - الوحدات الصوتية للوقف الحنجرى : همزة .

٢) هناك تغيرات لم تنشأ إلا فى ظروف تأثيرات قوية من لغات أخرى ، لها سمات صوتية مخالفة لبنية اللغات السامية وهى الوحدات الصوتية التالية :

أ - الوحدتان الصوتيتان من الأصوات اللهوية الرخوية : الغين والخاء .

ب - الوحدتان الصوتيتان من أصوات التجويف الحلقى : العين والخاء .

جـ - الوحدات الصوتية من أصوات الحنجرة : الهاء .

٣) هناك تغيرات أخرى حدثت فى مناطق جغرافية متباعدة ، تمثل الظاهرة اللغوية نفسها فى داخل اللغات السامية .

وأهمها التخلص من الأصوات بين الأسنانية ، واتخذ هذا التحول اتجاهين اثنين :

أ - تحوّل الوحدات الصوتية بين الأسنانية إلى المقابل الأسنانى :

ث ت

ذ د

ظ زاى مطبقة)

حدث هذا التغير فى اللغة الآرامية فى الشام والعراق قبل الإسلام ، ثم حدث بعد ذلك اللغة العربية فى مصر وصقلية .

ب - تحوّل الوحدات الصوتية بين الأسنانية إلى المقابل الشفوى أو الأسنانى

ث ف ،

ذ د

ظـ ضاد

حدث هذا التغير فى بعض لهجات الجزيزة العربية القديمة ، ويلاحظ اليوم فى بعض لهجات ريف البحرين .

٤) تغيرات بعض الأصوات فى أكثر اللغات السامية تغيرات بعيدة المدى ، الأمر الذى يثبت قضية الصعوبة النطقية لهذه الأصوات ، وأهم الوحدات الصوتية التى طرأ عليها تغيرات :

أ - أصوات الإطباق :

الظاء ، الطاء ، الضاد .

ب - أصوات أقصى الحنك :
القاف ، الجيم ، الكاف .

٥) اتجاهات التغير فى اللغات السامية ولهجاتها ليست مقصورة عليها ، وقد لوحظ عدد كبير من هذه التغيرات فى لغات أخرى لاتمت للغة السامية بصلة قرابة لغوية أو مكانية ، وأهم هذه الاتجاهات ما يأتى :

أ - تحول الباء المهموسة (p) إلى فاء (F) حدث هذا التغير بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية ، وهو أشهر هذه التغيرات التى حدثت عند تكون النظام الصوتى للعربية ، وحدث التغير نفسه فى الأسرة الهندية الأوربية ففى اليونانية Pater تقابل Fadar فى القوطية [٧١] وهنا نجد (P) قد تحولت إلى (F) ، وفى كلتا الحالتين نجد التغير واحدا ، وهو تحول الصوت شفوى (P) إلى صوت شفوى أسنانى (F) .

ب - تحول الكاف (K) إلى صوت الكشكشة المركب (TČ) . حدث هذا التغير فى العبرية الفصحى ولهجات الخليج ومنطقة شرق الجزيرة العربية ، وهذا ما حدث أيضاً في الأسرة الهندية الأوربية ، فى تاريخ اللغة الإنجليزية فى رحلتها المبكرة عندما ظهر هذا الصوت إلى جوار الحركات الأمامية : pic Pitch . [٧٢]

جـ - تحول الكاف (K) إلى صوت الكشكشة الاحتكاكى (Č) .حدث هذا التغير فى العربية ، وهو المقصود - فى أرجح الآراء - بالكشكشة عند اللغويين العرب ، وهذا التغير ملاحظ اليوم أيضاً في بعض لهجات البدو فى شرق الجزيرة العربية وهذا ما حدث فى الأسرة الهندية الأوربية ، فمثلا فى اللغة اللاتينية نجد Camera يقابلها chambre فى الفرنسية[٧٣]

د - تحويل الجيم الشديدة إلى مركب احتكاكى حدث هذا التغير بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية الفصحى . وحدث التغير نفسه بين اللاتينية واللغات الرومانية المختلفة [٧٤] .

---

(٧١) انظر حول هذا التغير - مثلا : W . P. Lehmann, Historical Linguistics, 164 - 165 .

(٧٢) انظر مثلا L . Bloomfield, Language 378

(٧٣) انظر L . Bloomfield, Language P . 377

(٧٤) انظر L . Bloomfield P. 378.

هـ - انقسام المركب الاحتكاكى (dg) إلى عنصرين وحذف أحد العنصرين .

حدث هذا التغير فى العربية الفصحى ولهجاتها ، ففى لهجات عربية حديثة نجد الجيم مركبًا احتكاكيا وفى لهجات أخرى نجد الجيم صوتا احتكاكيا ، وفى لهجات ثالثة نجد مقابل ذلك صوت الدال ، وهذا بالتغير نفسه حدث فى الأسرة الهندية الأوربية [٧٥] .

و - تحول الجيم إلى ياء حدث هذا التغير داخل العربية ولهجاتها وحدث التغير نفسه فى الأسرة الهندية الأوربية وهو من التحولات المميزة للغة الانجليزية داخل اللغات الجرمانية فى أقدم المراحل (g) وفى الإنجليزية الحديثة (y) . geldenyield.

ز - تحول الثاء إلى فاء حدث ذلك داخل اللغة العربية ، وفى أمثلة قديمة وفى لهجات حديثة فى البحرين ، وحدث التغير نفسه فى الأسرة الهندية الأوربية ، ففى اليونانية تجد الثاء (th) تقابل (f) فى الآتينية[٧٦] .

٦ - العربية الفصحى احتفظت بين اللغات السامية بأكثر الوحدات الصوتية الموروثة عن اللغات السامية الأولى ، والتى تغير قدر منها فى اللغات السامية المفردة . وتقتصر التغيرات بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية على مايأتى :

أ - تغير الباء المهموسة فى السامية إلى الفاء فى العربية .

ب - تغير نظام أصوات الصفير ، فاختفت الشين الشجرية فى العربية .

أما باقى الوحدات الصوتية فى العربية فترجع إلى اللغة السامية الأولى ، أى إلى ما قبل أول هجرة سامية إلى أرض العراق نحو سنة ٢٥٠٠ ق . م ومعنى هذا أنها تشكل وحدات فى النظام الصوتى للعربينة منذ أكثر من خمسة وأربعين قرنا .

محمود فهمى حجازى

الخبير بالمجمع

---

(٧٥) انظر : L . Bloomfiled, Language 378.

(٧٦) انظر تفصيل ذلك فى :

L . Bloomfield, Language, London 1979 , P . 348

L . Bloomfield 377